

علماء وأعلام

العلامة

السيد عباس الحسيني الكاشانيؒ



آية الله السيد عباس الكاشانيؒ، والذي لقب من قبل آية الله المرعشيؒ، بـأيوب العلماء.

ولادته ونسبه

ولد السيد عباس في كربلاء المقدسة سنة ١٢٥٠ للهجرة ويوم ١٧ ربيع الأول الموافق لذكرى ولادة الرسول الأعظمؐ؛ ويلقب بالكاشاني نسبة إلى أجداده من مدينة كاشان الإيرانية. أبوه السيد علي أكبر وجده السيد محمدهدي الحسيني الكاشاني من المراجع ومن تلامذة الميرزا الشيرازيؒ.

حياته العلمية

سعى السيد عباس لاكتساب المعارف الدينية في حوزتي كربلاء والتجف الشهيرتين، وبلغ درجة الاجتهاد في سن الثامنة عشرة؛ وفي سن العشرين حضر درس آية الله السيد علي القاضي. تلمذ السيد عباس على يد السيد علي القاضي لمدة سبع سنوات، وحصل منه على إجازة الاجتهاد.

يقول العلامة الحسيني الكاشاني في سيرته الذاتية:

"لم يكن قد مر على عمري ١٠ سنوات عندما أصبحت طالبًا في الحوزة بأمر من والدي، في تلك الأيام، كان من الشائع وجود العديد من الطلاب بين سن ١٠ و١٢ عامًا، وأصبح معظمهم من العلماء والفضلاء. بين سن ١٠ و١٢ عامًا، كنت أدرس في كربلاء عندما توفي والدنا الماحد آية الله السيد علي أكبر الحسيني الكاشاني إثر سكتة قلبية، وأصررت على والدتي للسماح لي بالذهاب إلى التجف، لكنها لم توافق ولم تر الوقت مناسبًا.

أخيرًا، وبعد إصرار وإلحاح كثير، ذهبت إلى "سامراء" في سن ١٢، والتي كانت في ذلك الوقت، وفي عهد "آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني" مركزًا علميًا بعد التجف. بقيت في سامراء لمدة عامين، وبفضل الله تعالى وعناية الإمام المهدي - روجي لمقدمه الفداء - وصلت إلى مستوى يمكنني فيه الإجابة على الأسئلة التي تطرح علي.

في ذلك الوقت، كان طلاب التجف ينتخرجون (يصبحون مجتهدين) في سن ١٨ أو ١٩، وفي أقصى الحالات ٢١ عامًا. أنا شخصيًا حصلت على أول إجازة اجتهاد من "آية الله الشيخ محمد خطيب".

وكما كان لديه إجازة اجتهاد مكتوبة من آية الله السيد محمد رضا الكايباگاني وآية الله السيد عبد الهادي الشيرازيؒ.

أساتذته:

- السيد محمد هادي الميلانيؒ؛
- السيد أبو القاسم الخوئيؒ؛
- السيد علي البهبهاني؛
- آية الله الشيخ محمد خطيب؛
- السيد محمد طاهر البوشهري البحراني؛
- السيد حسن مير القزويني.

حياته الاجتماعية

كان لديه ذاكرة قوية وعجيبة جداً، وكان يذكر ذكريات نادرة وغير مروية عن علماء وعظماء التجف وكربلاء. شهد العديد من الأشخاص كرامات مختلفة لهذا العالم الزاهد، وكان يحل مشاكل الناس بهذه الأدعية. كما كانت له استخبارات عجيبة ونافذة جداً. كان ينقل في المجالس الخاصة معلومات قيمة عن العلماء، وكان شاهداً عن قرب على معجزات وكرامات العديد من علماء التجف.

قضى حضرة آية الله السيد عباس الكاشاني سنوات طويلة طريح الفراش بسبب المرض؛ ومع ذلك، لم يسمع أحد منه ولو لمرة واحدة شكوى إلى الله بسبب مرضه. من ثم كان منحه آية الله المرعشي التجفيؒ لقب "أيوب العلماء". كما كان حضرة آية الله بهجتؒ، كلما زاره يقول: "السلام عليك يا أيوب العلماء".

يجدر ذكر أنه تم طرد آية الله السيد عباس الكاشانيؒ من العراق بأمر من صدام حسين في عهده.

مؤلفاته

ألف العلامة الكاشاني العديد من المؤلفات، ويوجد منه أكثر من ٢٦٠ كتابًا مخطوطًا، ويذكر من مؤلفاته ما يلي:

- المخازن، مصابيح الجنان، نابغة بزرگ اسلام (عقبرة الإسلام الكبرى)، الرضوان فى تفسيرالقرآن، (في ٣٠ مجلد)، معجم اعلام الشيعة (فى ١١٠ مجلد).

وفاته

انتقل العلامة الكاشاني في البداية إلى مستشفى ولي العصرؒ في قم جراء معاناته من المرض، وفي ٢٧ رجب تم نقله إلى مستشفى خاتم الأنبياءؑ في طهران لمواصلة العلاج. وأخيرًا، لبي آية الله "الحاج السيد عباس الحسيني الكاشاني"، آخر تلاميذ آية الله السيد علي القاضي الباقيين على قيد الحياة، وإمام الجماعة في حرم أبي عبد الله الحسينؑ، نداء ربه في أيام ولادة سيده الإمام الحسينؑ، يوم الأحد ٦ شعبان ١٤٣١ هـ في مستشفى خاتم الأنبياءؑ في طهران.

يعد الإمام الصادقؑ

صاحب أعظم مدرسة علمية في العالم الإسلامي بالنظر إلى آثاره وأثار تلاميذه، بل هو الغالب على الفقه وأحكامه، ويصح إطلاق لفظ الفقه الباقرى والصادقى على الفقه الإمامي، وذلك من آثار هذه المدرسة العظيمة التي تخرج منها الآلاف من الطلبة.

روى للناس الفقه والحديث عن أبيه، وسمع الناس منه، وأخذوا عنه وعن أبيه، ولقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت صاحب مدرسة الرأي في الكوفة، ومالك بن أنس فقيه أهل المدينة، وسفيان الثوري وشعبة وسفيان بن عيينة وحي بن صالح وأيوب السجستاني وعمرو بن دينار، وكثير من علماء الأمصار. قال عبد الحليم الجندي في كتابه: الإمام جعفر الصادق ؑ، ما نصه:

"فقد تلمذ أبو حنيفة ومالك للإمام الصادق ؑ وتأثر كثيرًا به سواء في الفقه أو في الطريقة، ومالك شيخ الشافعي، والشافعي يدي إلى أبناء النبي ﷺ بأسباب من العلم والدم، وقد تلمذ له أحمد بن حنبل سنوات عشرة، فهؤلاء أئمة أهل السنة الأربعة تلاميذ مباشرين أو غير مباشرين للإمام الصادق ؑ، وفي هذا الكلام دلالة واضحة على أهمية دراسة علم الإمام الصادق ؑ بعد تأثر هؤلاء الأئمة بالمنهج والطريقة، ولأن أصحابه إذا رَووا عنه قالوا:

أخبرنا العالم، وعرفه الجميع ونقلوا عنه العلوم ما سارت به الركب، وانتشر ذكره في البلدان، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعة آلاف رجل.

وفي بيان منهجه كان يعطي لكلامه وحديثه التوثيق الكامل وهو المنهج السندي إشارة لاعتبار ذلك عند أخذ الأحاديث، وبالأخص في الأحكام والقضايا، بل ربما في غيرهما، فكان يردد:

إن حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله قول الله عز وجل." وفي هذا النص يعطي الإمام أهمية بالغة لطرق الحديث من الجهة السندية أيضًا

لوثاقته وعدالته في كل السلسلة، وعلى هذا تؤخذ الأخبار والروايات ليصح البناء عليها، وهي إشارات لعلم الجرح والتعديل ولعلم الدراية وكيفية التعامل مع هذا الكم الهائل من الأحاديث، وعلى هذا النهج سار أغلب المحدثين في اختيار أحاديثهم في جوامعهم الحديثية.

واتضحت المدرسة الكلامية عند الإمام الصادقؑ بمنهج الحوار العلمي الهادئ والهادف للوصول للحقيقة، والكلام وسيلة لهذه المعرفة العقائدية

مقالة

الإمام الصادق عليه السلام ومناهجه التعليمية

بقلم د. الشيخ حسن الربيعي

! الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها



جميع الأقوال ومقارنتها والأخذ بأحسنها وبما يوافق المنهج العقلي الذي علمه تلاميذه ومريديه.

■ المنهج العقلي:

وضع الإمام الصادق ؑ التطبيق الفعلي بعد التأمل النظري واتخاذ العقل حجة وطريقاً للمعرفة الصحيحة باستخدام النقد وإخضاعه للعقل لمعرفة وجه الحق، فيعد الإمام الصادق ؑ أول من نظر في الروايات والتاريخ بعين النقد والتمحيص وكان يرى أن اختلاط التاريخ بالخرافة والأسطورة يفقده أثره من حيث العبر واستخلاص الموعظة والدرس.

وهذا المنهج يجري في الأخبار المتعارضة وطريقة الترجيح ضمن هذا المنهج، فقد جاء في موققة ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله ؑ: "إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدًا من كتاب الله أو من قول رسول الله ﷺ وإلا فالذي جاءكم أولى به"، وجاء في اختلاف الحديث يرويه من يثق ومن لا يثق به، والمراد من الأخير من لا يكون خبره معتبرًا ولم يثق بدينه لكنه يثق في نقله.

وأعطى الإمام الصادق ؑ نظرية العرض على القرآن الكريم، باعتباره الأصل وما عداه يرد إليه لمعرفة مدى صحته وقبوله، فقد جاء عنه قوله: "ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف"، وهنا أعطى للفقهاء قاعدة أساسية لمعرفة الأحاديث ومدى صحتها بعد أن فشا الكذب والتدليس والوضع في الأحاديث.

ومن منهجه أن يأمر بالكتابة والتدوين للعلم، وهي دعوة حضارية نابعة من أن الإسلام دين العلم والقراءة والكتابة، فقد ورد عنه ؑ: "اكتبُوا فَإِنَّكُمْ لَا تَحْفَظُونَ حَتَّى تَنْكُتُوا"، وقال أيضًا: "اكتب وبت علمك في إخوانك ... الخ"، والكتابة تزيد الحفظ، وبهذا المعنى قال ؑ: "القلب يتكل على

■ المنهج التجريبي:

وردت روايات تشير إلى أن مدرسة الإمام الصادق ؑ اهتمت بعلم الطب، وكان الإمام ؑ يلقى دروسا في الطب، أفاد منها كثير من الأطباء والباحثين والمرضى في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ومن أهم نظرياته التي انتفع بها الأطباء في عصره وبعد مماته رأيه في إمكان تنشيط الدورة الدموية عند حدوث سكتة مفاجئة أو توقف مؤقت بقطع وريد بين أصابع يد المريض اليسرى إسالة للدم منه.

ونقل عن الإمام الصادق ؑ عدة مناظرات من أهمها مناظرته مع الطبيب الهندي طبيب المنصور وكانت المناظرة في مجلسه وكانت هذه المناظرة تدور حول جسم الإنسان ومتطلباته. وسأله أحد النصارى عن أسرار الطب فأجابه.

وعلم الإمام الصادق ؑ الفضل بن عمر الدورة الدموية متبعمًا دخول الغذاء جوف الإنسان مبيئًا كيفية الدورة الدموية وهو يشبه ما توصل إليه الطب الحديث وهي من المسائل الطبية الجلية ولم يدركها الأطباء إلا بعد اثني عشر قرنًا عندما ظهر الأستاذ هارفي مكتشف الدورة الدموية، وهو أهم مكتشف في عصر الاختراعات في العالم.

وأشار الإمام الصادق ؑ إلى الحواس والمحسوسات، إلى البصر وإدراكه الألوان وإلى السمع ليدرك الأصوات وكذلك بقية الحواس وأثبت وجود أشياء تتوسط بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحس إلا بها كمثل الضياء والهواء، فالضياء يظهر اللون للبصر، والهواء يؤدي الصوت للسمع، وهو يشابه ما توصل إليه العلم الحديث.

وأشار الإمام الصادق ؑ إلى نظرية العدوى والجراثيم، فنقل عنه: "لا يكلم الرجل مجذومًا إلا أن يكون بينهما قدر ذراع أو قدر رمح"، ويبدو أن هذه المسافة التي لا تستطيع الميكروبات أن تنتقل وتؤثر في العدوى للغير، وهناك الكثير من الفوائد الطبية المجربة قد أشار إليها الإمام الصادق ؑ في منهجه التجريبي مأخوذًا من طب جده الرسول المصطفى ﷺ. وفي مجال الكيمياء فقد برع هشام بن الحكم (ت ١٩٦هـ) بهذا العلم وهو من أشهر تلامذة الإمام الصادق ؑ، وله نظرية في جسمية الأعراض كاللون والطعم والرائحة، وقد أخذها عنه تلميذه إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي، أما جابر بن حيان الكوفي (ت ٢٠٠هـ) فكان هو البارع في هذا العلم مع علم الطب، ولكنه اشتهر بالكيمياء أكثر، فقد دَوّن آراء الإمام الصادق ؑ وأجرى التجارب الكثيرة في هذا الحقل من العلوم.

ويعد علم الكيمياء من فروع العلوم الطبيعية التي موضوعها البحث عن مظاهر

الطبيعة وإيجاد المناسبات بين الحوادث، والكيمياء مشتقة من كلمة مصرية قديمة (سيميا) وتعني السواد وربما هي رمز من رموز السر والخفاء.

اهتم جابر بن حيان بهذا العلم ورغب إليه رغبة صادقة ومخلصة، وعرف ذلك الإمام الصادق ؑ منه، فعلمه أساره وأوصاه، وهو يذكر ذلك ويكرره فيما وصل إلينا من رسائله في الكيمياء، فقد نقل عنه قوله: "وحق سيدي لولا أن هذه الكتب باسم سيدي صلوات الله عليه لما وصلت إلى حرف من ذلك آخر الأبد ..".

تعلم جابر بن حيان المنهج التجريبي من أستاذه الإمام الصادق ؑ وبه نال لقب الكيميائي، ونال ثقة واطمئنان الإمام ؑ ولولا هذه الثقة لم يعطه الإمام ؑ هذا العلم المهم والخطير، لذلك نقل عنه ؑ:

"والله يا جابر لولا أني أعلم أن هذا العلم لا يأخذه عنك إلا من يستأهله وأعلم علمًا يقينًا أنه مثلك، لأمرتك بإبطال هذه الكتب من العلم".

وذكره ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته ووصفه بأنه إمام المدونين فيه، والكيمياء علم جابر وله فيها سبعون رسالة مع نقده اللاذع لهذا العلم، وعبر عن رسائله بأنها ألغاز، وعلى هذا يعد جابر بن حيان أول رجل ظهر في العالم جدير بأن يلقب بالكيميائي، وقد أثنى عليه بول كراوس وعده من أعظم رواد العلوم التجريبية، لأنه جعل الميزان أساسًا للتجريب.

يبدو من الروايات التاريخية والرسائل التي دونها جابر بن حيان أن الأمر بالتدوين كان من الإمام الصادق ؑ وحتى الترتيب في الأبواب، أي خطة العمل كما تطلق عليها اليوم كانت بأمره أيضًا، فقد جاء في بعض رسائله قوله:

"اعلم أن سيدي رضي الله عنه لما أمرني بتأليف هذه الكتب رتبها لي ترتيبًا لا يجوز لي مخالفته فيها وإن كنت عالمًا ببعض أغراضه في ترتيبها، فإما بجميع أغراضه فلا ...".

ومن هذا النص يتضح المنهج وغرضه في مدرسة الإمام الصادق ؑ في التدوين والتأليف والأبواب وكيفية وصفها وترتيبها عنده، وقد يفهم المصنف أو التلميذ أغراض الوضع، وقد يفهم جزءًا منها، وقد لا يعرف ما هو الهدف من أوامر الإمام ؑ.

هذه المنهجية في القرن الثاني الهجري تحتاج من الباحثين التأمل والنظر لأنها توصل إلى الطريق العلمي الصحيح والذي ينتفع به سواء ما أبداه الإمام الصادق ؑ في المنهجين العقلي أو التجريبي. ويعد المنهج التجريبي اليوم من أهم مصادر المعرفة العلمية وبه نهضت أوروبا ودول العالم المتحضر ووصلت إلى ما وصلت إليه.

المصدر: يتابع